

كيفية فهم كتب الأولين والاستفادة منها

يشتكى بعض الشباب بقولهم: إننا لا نفهم كتب الأولين، ولا نعرف كيف نستفيد منها. وهذا خطأ. فكتب الأولين أرى أنها فصيحة، وأن عباراتها واضحة؛ حتى الذين ألفوا في أول التأليف ما تجد في إدراتهم تقديداً ولا صعوبة في الفهم، تفرعون -مثلاً- في كتاب "الأم" للشافعي وهو من أوائل ما كتب سجدوا العبارات فيه واضحة، وإذا كان فيه شيئاً من الاصطلاحات الخفية؛ فإنك تستطيع أن تعرفها بالتمرن والتردد، وتقرأ في كتاب التفسير لابن جرير وهو من أوائل الكتب التي اعتنت بتفسير القرآن؛ ومع ذلك تجد عباراته واضحة، وإذا كان هناك اصطلاحات يكون فيها شيء من الخفاء؛ فإنها تعرف بالتردد، لو ترددت فيه وقرأته مرة ومرتين ظهرت لك العبارة التي فيها خفاء؛ لكننا استعملنا لها. وكذلك معلوم أن الأولين -الصحابة والتابعين والأئمة- تعلموا اللغة بالسليقة أو التلقين، فاللغة العربية فصيحة، لم يحتاجوا إلى أن يتعلموها بواسطة معلمين؛ بل لغتهم لغة الفصحى. حدثت بعدهم هذه الرطابة، وهذه اللغات العامية التي تسمى "بطيئة"، وتعددت اللهجات في كثير من الجهات؛ حتى في الدولة الواحدة يوجد عدة لهجات وعدة اصطلاحات للكلمة وللمعنى. علاج ذلك: تعود الإنسان سماع القرآن، وسماع الأحاديث النبوية، وكذلك أيضاً سماع... الإذاعة، الإذاعة التي تبث الكلام الفصح والبدع والمعاني، والبيان والبدع والمعاني، وما يتحول بعني الطالب فهم المعاني إذا قرأ في هذه الكتب وفي هذه الأمور. فكل حال... نقول: إذا خُطرت لك المسألة، أو وما أشبهها؛ لأن ذلك يمرنه على أن يفهم الكلام العربي، وبالأخص في نجد وما حوله؛ وحتى في البلاد الأخرى. يمكن قبل خمسين سنة أو نحوها -في الحدود الشمالية والحدود الجنوبية- لما كانوا جهلة بالغة يحتاجون إلى من يترجم لهم بلغتهم؛ مع أنهم عرب؛ ولكن لصعوبة فهمهم يحتاجون مترجم؛ مع أنهم عرب؛ ولكن مع التكرار، ومع التكرار... أصبحوا -والحمد لله- يفهمونها بدون مترجم. وأما نحن... وبسبب قراءتنا في الكتب في المدارس، واستعمال المدرسين اللغة الفصحى؛ أصبحت اللغة الفصحى العربية واضحة، لا تحتاج إلى تفهم، ولا إلى ترجمة، ولا إلى شرح، ولا إلى إيضاح ونحو ذلك. كذلك أيضاً في المدارس كلها -الابتدائية وما بعدها إلى الجامعة- يشتغل المدرسون أو قسم منهم باللغة العربية التي هي: الإعراب والنحو، والفصاحة والبلاغة، والبيان والبدع والمعاني، وحتى تعلم بذلك على بصيرة، إذا عرفنا أن العمل من بشرطه: العلم، وأن الإنسان لا يقدم على عمل إلا بعد أن يعرف الحكم في تلك المسألة التي يريد أن يعمل بها؛ ليعمل على بصيرة، فإن العلم -والحمد لله- وسائله سهلة في تناول الأيدي. فهذه كلمات... إن أردت بها كمدمة إذا كان عند أحد سؤال نقول له: قبل أن تسأل عليك أن تبحث، فيمكن أن يحضرك -الآن- سؤال تستفسر منه، ويحضرك -غداً- سؤال، فبعد غد وكل يوم أو كل شهر تعترك مسائل تحتاج إلى فهمها، فإذا عندك حصيلة، وعندك إمكانية للاستفادة مما لديك وما لدى إخوانك وزملائك من الكتب والمراجع، والله تعالى أعلم، وصلّى الله على محمد... أسئله شكر الله لفضيلة الشيخ هذه الكلمة... ونسأل الله أن تجد أذناناً صاغية، وقلوباً واعية، تدفع إلى طلب العلم وأصول الدين. والمجاهد مفتوح للأستئنة، واسمحوا لي أن أبدأ سؤال طرحه أحد الإجابة عليه أحد الزملاء قبل المغرب في هذا اليوم وهو: س: يا فضيلة الشيخ... أنه يوجد مجموعة من الأمثلة إذا أراد أحدهم أن يبيع جهازاً جمع مبلغ عشرة رباتات -مثلاً- الجهاز يريد أن يبيعه بألف ريال، وسيجمع ألف ريال من عشرة أشخاص، ثم يقرع بينهم أيهم يكون أحق بهذا الجهاز، فكل منهم يقدم عشرة رباتات فقط على أمل أن يفوز بهذا الجهاز. فيسأل فضيلتكم عن حكم هذه الطريقة؟ بمعنى ذلك... أن هذا الجهاز يساوي ألف، أن هؤلاء كلهم يرجوه، وأنهم -مثلاً- مائة كل واحد منهم يدفع عشرة، وكل منهم يرجو أن يأتيه فيفترون عليه، فيحصل عليه واحد، ويحرم هؤلاء الذين هم تسعة وتسعون. فهذا ترى أنه يدخل في الميسر الذي هو غرن لبعضهم، ولو كان كل واحد منهم يتساهل بهذه العشرة؛ ولكن تسعة وتسعون كلهم خسروا والرابح واحد، لا شك أن هذا يسبب الغبن والقهقر في نفوس الآخرين. وبكل حال... نرى عدم استعمال هذه المغامرة. س: ... عن الكلام النبوي الذي يكون في المجالس، والذي يكون -أيضاً- في الإذاعة، فإذا كان هؤلاء الذين سجلوا هذا الشعر النبوي سجلوه للامة؛ حتى يستفاد منه. وحتى يفهم الكلام فهما واضحاً، فلا نقول بتمعن، فالشعر العربي الفصح موجود في الشعر، وكذلك أيضاً موجود في المؤلفات، وموجود في الأشرطة، من طلبه وحده؛ وحيث إن هناك كثيراً من العامة من الباسطون لهذا الشعر النبوي فيفهمونه جيداً فيقع موقعاً في نفوسهم؛ فلا مانع خاصة إذا كان فيه فائدة، أما إذا كان مجرد تلقين ومجرد كلام لا أهمية له أو قيل وقال وما أشبهه؛ فإنه ينهى عنه؛ ولو كان فصيحاً قريباً. س: ما حكم هذا الحديث: { لا تزال طائفة من أمتي على الحق قائمين }...؟ انتبه بقدر دنهم تريد...! لأنهم يريد أنه قد يفقد العلم من جهة لقبض أهلهم ويتخذون رؤوساً جهالاً؛ ولكنه لا يدل على انقضاء أهل الخير، وانقضاء الذين يعملون به، ويطبقون العمل به؛ وهم الطائفة المنصورة، أو الفرقة الناجية، ولا يلزم أن تكون تلك الفرقة كلهم علماء؛ بل يكفي أن يكونوا عباداً، وعلى بصيرة، وإن لم يكن فيهم العلماء المشاهير، -أيضاً- لا شك أن قبض العلم لا يكون عامي الأمة كلها؛ بل يقبض على العلماء من جهة وخلقهم كثيرين، وكذلك أيضاً يقبضون من جانب ويوجدون في جانب آخر؛ وذلك يبشر بالخير. س: ... أولاً: حديثه هذا ضعيف: { لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد } كما نبه على ذلك الحافظ ابن حجر من "تلخيص النخعي"، وأما الدليل الذي يقوم مقامه فهو حديث آخر مذكور في "بلوغ المرام" قوله -صلى الله عليه وسلم- { من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر } . وكذلك حديث الأعمى الذي قال له: { هل تسمع النداء؟ قال: نعم. قال: فأجب } هو دليل على أن من سمع النداء وجب عليه أن يأتي إلى ذلك النداء لأداء تلك الصلاة، فإذا كان المسجد بعيداً، أو فيه منقعة جاز أن يصلي في منزله أو في إدارته أو نحو ذلك. وأما إذا كان قريباً -يعني- قدر خمسمائة متر أو ستمائة فلا تسقط الجماعة، بالنسبة إلى الدوائر وإلى المدارس ونحوها يرون أنهم يصلون في أماكن عملهم لمصالح؛ وهي اجتماعهم جميعاً على الصلاة مخافة أنهم إذا خرجوا يتخلف بعضهم ولا يصلون من كسالى ونحوهم، وكذلك أيضاً قد يخرج بعضهم من يرجعون، أو لا يذهبون إلى المسجد، يخرجون من مقر العمل ويذهبون يتسكعون، أو يترددون في الطرق ولا يصلون؛ سواء ربكنا أو مشاة أو نحو ذلك، وكذلك المدارس ونحوها إذا صلوا في المسجد وتركوا الطلاب فالطلاب -غالباً بالأخص إذا كانوا صغاراً- لا ينضبون ولا يصلون، وإن سمحوا لهم بالخروج صعب إعادتهم، فإذا كانت الدوائر فيها أعداد كبيرة، وفيها أماكن مهياة، وفيها مؤذن وامام، صدق عليهم أنهم يصلون في مسجد، وأهم بجيئون ذلك الداعي الذي دعاهم، لو أمكن في مدرسة أو في دائرة حكومية أو ما أشبه ذلك، أما إذا كانت الدائرة صغيرة، والذين فيها محصورون -عدهم قليل- فلا يحق لهم أن يصلوا فيها ويتركوا المساجد. س: ...؟ إذا كان يشترها -دائماً- لأجل أن يقرأ فيها، ويستفيد منها أيضاً، ويطلع على ما فيها، أرى أنه يشترك في حل تلك الأسئلة، وتقديم الأجوبة من تلك الصحيفة والتأمين عليها، ومن حصل على الجائزة فلا مانع من أن يأخذها، وأما إذا ما كان يشترها إلا لهذا الغرض، أو يعني لم يكن هذه المسابقة وهذه الأسئلة ما اشتراها؛ فنصفه -والحال هذه- ألا يشترها بهذا القصد، معلوم أنهم ما قصدوا من هذه الأسئلة وحوادثها، إلا الترغيب في اشتراك صحفهم، واتفقوا المقبلين عليها، وترويجها، والريح من ورائها؛ ولأجل ذلك يذكرون أن بعضهم كانوا يبيعون الصحيفة والعدد بريال أو ريال ونصف ويطبعون -مثلاً- مائة ألف، ولما جعلوا فيها هذه المسابقة وهذه الأسئلة زادوا في الثمن وجعلوها بريالين أو ثلاثة، إذا جعلوا في العدد ربما يطبع مائة ويطبع مائتي عدد- أو نحوها وصاروا يرجون كثيراً؛ بحيث أقبل الجم الغفير على شرائها، وحصلوا كل يوم على -مثلاً- خمسمائة ألف أرباح زيادة على تكليفاتهم وأتعابهم وما أشبه ذلك، فيقولون: نجعل من هذه الفوائد وهذه الأرباح رواتب عمالنا، ونجعل ثلثها أو عشرينها جوائز ونقتسم الباقي، فجعلوها غير كثيرة الإقبال عليها؛ بسبب هذه الجوائز، لكل الجوائز -مثلاً- ستون ألف مواطن يصلون حل صحيحاً، ويحلها -مثلاً- خمسون ألف أو ستون ألف حل غير صحيح، ثم يكون الفائزون خمسة آلاف أو ثلاثة آلاف وربما ألف والبقية يقولون: ما حالفكم الحظ؛ لكن هذا منهم حرصاً على أخذ أموال الناس وجعهم منهم، الواحد يقول: ما يضرني كل يوم أنني أشرتها بثلاثة رباتات ربما أحصل على هذه الجائزة التي هي عشرين ألف أو عشرة آلاف وأنا ما خسرت مبلغاً يسيراً؛ ولكن إذا نظرنا إلى كثرة هؤلاء الذين اشتروها ما حالفهم حظهم -مثلاً- مائة ألف أو مائتي ألف مواطن، أن هؤلاء خسروا؛ ولو كانت خسارتهم يسيرة، فلا ينبغي مثل هذه الدعايات. فكذلك أيضاً يفعل ذلك أهل الأسواق الذين يصلون -أيضاً- دعايات، من يشترها منا -مثلاً- سكين تعطيه كوبون مسابقة، أو من يزرنا بمشي في أسواقنا ويمر بسلعنا نعطيه... على الدعابة... إلى أن يعرف عنا فيتمثل ما عندنا من التعامل في التسهيل في المعاملة؛ سبب ذلك الناس على هذه السوق وعلى هذه السلع ويشترون منها كثيراً كبيراً، نقدم ما يسمى بالتخفيضات؛ مع أنها وهمية، ولما الحصول على الجوائز التي قد يجعلونها، أو قد يقولوا: -مثلاً- نجعل الجائزة سيارة أو جائزة تلاجع أو شيئاً كبيراً، أو ما أشبه ذلك، فيفسر الناس خساراً كبيرة... أنها لا تضر الأفراد؛ ولكنها تضر مجموعة وتنفق أهل هذه الأسواق ونحوهم، فلا يخسرون إلا شيئاً يسيراً في هذه الجوائز. وكذلك أيضاً ما يفعله كثير من أهل المحلات الذين يعطون من بدلهم أو من بدل عليهم؛ حتى يربحوا أكثر من غيرهم، هناك أصحاب الورش يقولون لكل من يأتهم بسيارة خربة يقولون: لك جائزة، تعطيك كذا... وكذا... فيذهب إليهم، ويترك الورش الأخرى؛ ربما يكون أهلها أصحح وأحسن خبرة وعملاً وأسهل وأرخص، فيقول: هذا هو الذي تعرفه، مقابل أن صاحب الورشة يعطيه جائزة ألف أو ألفين أو نحو ذلك؛ فننصح بعدم فعل ذلك -أي- أنه إما يغيب كثيراً -يعني- مما يوقع كثيراً من الناس في التساهل، وأخذ ما لا يستحقونه، والتعرض لشيء من الظلم أو الضرر للأبرين، -مثلاً- إذا ضرهم زيادة في القيمة أو... الصحيح صرف الذي حل عليهم صاحب هذا الورش ونحوه هو الأثم هو المتسبب في إصرار هذا المسلم، وأشباه ذلك، هم أصحاب الجبل التي يقفون بها الناس؛ حتى يكسبوا من ورائهم. س: طيب يا شيخ... حتى ولو كانت غير... حتى وإذا كان مشروعاً خيراً يجوز؛ ولكن ليس بهذه الحيلة. س: ...؟ إذا كان هذا المشروع خيراً يجعلون هذا بهذه الصيغة يقولون -مثلاً- نطبع هذه الأشرطة ونسجلها ونبيعه، -مثلاً- إذا كان الناس يبيعون بأربعة نبيعتها بثلاثة، ونجعل الزيادة على رأس المال في المشروع الخيري، وتلكنا ريالاً أو نصف ريال، والبقية تجعلها للمشروع الخيري، أو -مثلاً- نطبع هذه الرسالة، تلكنا الرسالة نصف ريال، ونبيعه ريالاً، بدل ما يبيعه أهل المكتبات بريالين نبيعهما بريال ونجعل الزائد على تكلفتنا في مشروع خيري، وكذلك بقية الأعمال، فيوجد في المشاريع الخيرية غير هذه الزيادة. س: عندي سؤالان: السؤال الأول يقول: هناك بعض أشرطة الكمبيوتر المنسوخة مكتوب عليها: "اقسم أن هذا الشريط نسخة أصلية" وهي ليست بأصلية -منسوخة- فهل يجوز استخدامها والضغط على هذا القسم؟ أو إثم على هذا القسم، الإثم على الذي أقسم على ذلك، إذا كان ليس بينها وبين الأصلية فرق فالإثم على الذي كذب وأقسم على أنها أصلية، نعلم أنه يستفاد من النسخة الفرعية كما يستفاد من النسخة الأصلية؛ إنما هذا استنسخها واجتذبتها من مكانها فلا حرج في ذلك، ولكن يبقى أن نقول: هناك بعض التسجيلات فيجمعون كلاماً، ويسجلونه في شريط، ويتكلمون في جمعه؛ وحيث إنهم يتكلمون ويسجلونه لأول مرة لتصبح النسخة الواحدة تكلفهم -مثلاً- مائة أو مائتين ويقولون: إذا رخصنا لأصحاب التسجيلات الأخرى في نسخها كان ذلك إبطالا لعلمنا، وصاروا ينافسوننا ويبتلون ونعينا، فبدل ما نبيعهما نحن بتكلفنا مائة وخمسين يبيعونها بعشرة أو خمسة عشر فيضروننا. نرى -والحال هذه- أنه لا يجوز إفساد علمهم؛ لأن في ذلك شيء من الضرر الذي يتألم، ومثله -أيضاً- المطابع، إذا تكلفوا وطبعوا هذا الكتاب لأول مرة، وبعد طبعهم له باعوه بسعر، السعر الذي يقيدهم -مثلاً- أربعين، النسخة بأربعين أو خمسين، فلا يجوز لأحد أن يعيد طبعه؛ إلا بإذنه، ويعطيهم ما يعطون من الحقوق، وما أشبه ذلك؛ حتى لا يتضرروا، فيخسروا، وتكسد سلعهم بهذا السبب. س: السؤال الثاني: سؤال فيه شيء من العجب أخشى أن يأخذ علي بعض الإخوة أنهم يغلبوني، يسأل: هل يجوز لبس الكدك والعقال؟ بالنسبة إلى العقال... هو من العادات، ليس من العبادات التي يتطوع بها، وليس من البدع التي تستنكر. والبدع إنما تكون في القرابات، وفي الطاعات والعبادات. وأما الأكسية... فإنها من العادات. فنحن نقول: لا مانع من لبس العقال؛ ولو لم يكن من شيء مخيط -يعني- مستتراً، كذلك أيضاً بالنسبة إلى الإنسان الذي تعود لبسها ينبغي أنه يستمر عليه ولا يستنكر بحقه، يتعود على لبس العقال كلبس عمامة بضاء بدل هذه الحمراء، فلا يستنكر على إذا غيرها، فكذلك الأمور العادية. وأما قضية الأكام ما يسمى مبركك فبرى -أيضاً- أنه لا أهمية لإنكاره، أنه من الأمور العادية في يستنكر، إن كان الأولي عدم استعماله إذا كان فيه تصديق على غيره أو على الذراع أو نحوه، فقد يتركه إذا قام له بحره فيتبركس الكم على الذراع، وقد يحتاج إلى إطلاقه فيتعسر عليه ويتعذر عليه إطلاقها أو يشق عليه، نرى أنه -أيضاً- من الأمور العادية. س: "عز الله وجل" و"تعالى وتقدس" هذا من الذكر، إذا قاله المسلم لأنه يستعمله بعض العامة في أمر التأكيد، إذا أراد أن يؤكد شيئاً قال: عز الله أن هذا صلال، عز الله أنه قد صدق، فإذا كانوا يقصدون من ذلك أنها كلمة ذكر لا حرج فيها -إن شاء الله- س: بالنسبة لكتب الأطفال فيها صور... هل هي حرام؟ ينبغي عدم شرائها، وأن من يريد أن يشتري يترك شرائها؛ حتى تفسد عند أهلها؛ وحتى لا يجدها مرة ثانية؛ ومع ذلك إذا احتيج إليها ووجدنا مناسبة واستطاع أن يطلع وجه الصورة؛ حتى يكون الوجه ملطخاً، فهذا هو الواجب، وإذا كانت مع الأطفال فالأطفال حصل أنهم يتساحم معهم؛ لأنها تكون منتهية، يجلسون عليها، ويضطجعون عليها فلا يكون لها حرمة. س: نرى -أيضاً- أنها لا تجوز، إذا كانت صورا، -أيضاً- إذا كانت مجسمة، اللعب القديمة كان الطفل هو الذي يصلح له لعبة، البنت تصلح لها... -مثلاً- أو لعب بيدها كانت... تصلح لنفسها ما تتلهى به، وأما هذه الصور فالأصل أنها صور مجسدة، فنرى أنها لا يحل اقتناؤها، وفي الإمكان أن يعترض عنها بما ليس له روح -يعني- صور سيارة وصور طائرة -مثلاً- أو أسلحة، وما أشبه ذلك...